مُقاتل بِرُتبَةِ شهيد

مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل - ١٦ - سلسلة قادسيّة صدّام



الجمهورية العراقية - وزارة الثقافة والاعلام - دار ثقافة الاطفال



تصميم : خالدة نديم

الناشر : دار ثقافة الاطفال - ص.ب ١٤١٧٦ بغداد
ثمن النسخة داخل العراق ١٥٠ فلساً عراقياً
وخارج العراق ٣٥٠ فلساً

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
(١٤٧٦) لعام ١٩٨٥
توزيع الدار الوطنية للتوزيع والاعلان
دار الحرية للطباعة بغداد

ادب الحرب المصور للاطفال

حكايات من الحرب العراقية الايرانية
(١٩٨٠ - ١٩٨٨) م

عَمَلِيَّةُ عَمّار

مُقاتِل بِرُتْبَةِ شَهيد



تأليف : جعفر صادق محمد
رسوم : قاسم ولي النعيمي

مسح ضوئي : د.نزار حبيب عباس
اعداد الكتروني : احمد هاشم الزبيدي
٢٠١٦م

تنويه /

تم اعداد هذا الكتاب عن نسخة ارشيفية شخصية للاخ والاستاذ العزيز (د.نزار حبيب عباس) ... تفضل مشكورا بارسالها الينا لنشرها وعشرات الاصدارات النادرة لدار ثقافة الاطفال العراقية .. لغرض التوثيق والنشر الالكتروني في الانترنيت ... ((الفيسبوك وموقع عرب كوميكس الالكتروني)) فكل الشكر والتقدير له ولامثاله الرائعين ولكل من دعمنا وشجعنا لاكمال وارشفة المطبوعات والكتب النادرة .... متمنيا له الموفقية وديمومة العطاء والنجاح .... مع خالص التقدير ..

احمد هاشم الزبيدي
٢٠١٦م

عَمَلِيَّةُ عَمّار

بغداد عام ٢٠٣٠ م .

ـ ماذا يجري ؟ الغرفةُ تسبحُ في البرودةِ والظلام ..

فتحتُ عينيَّ .. قُربَ البابِ ثَمّةَ مِصباحانِ أخضرانِ صغيرانِ . كانا يتوهّجانِ ، وينطفئانِ ، لا بُدَّ أنّهما عينا قُرات . الإنسانِ الآلي الذي يهتمُّ بشؤون البيت .. تُرى لماذا يُطفيءُ قُرات أجهـزةَ التّدفئةِ في الغرفة ؟



نهضتُ مِن فِراشي وصحتُ به :

ـ ما هذا المِزاحُ البارِدُ ؟ كيف تُطفِـيءُ بطانيتي الضـوئية ؟ ألا تُحِسُّ بالبَرْد ؟!

ضَغطَ قُرات على زرٍّ في بدلتِهِ المعدنيّةِ ، توهّجَتِ الغـرفةُ بالنّور ثانيةً ، ثُمَّ أشار بيدِهِ الفولاذيّةِ إلى تقويمِ الغُرفةِ .. قال :

ـ انهَضْ أيُّها الكَسولُ ، وانظُرْ إلى التقويم !!

وعلى شاشةٍ تتوسّطُ جدارَ الغرفةِ ، ظَهَرتْ أحرفٌ ضَوئيةٌ كُتِبَ عليها :

بغداد ٤/ ايلول/ ٢٠٣٠ .. اليوبيل الذهبيّ لمعركةِ قادسيةِ صدام ومن بينِ الحروفِ كانت تنبعُ أصواتُ أغنيةٍ قديمةٍ. أغنيةٍ سَمِعتُ أبي يُردّدها أحياناً. كلماتها تقول:

إحنه مشينا للحرب .. عاشِكْ يدافع من أجل محبوبته
هذا العراقي مِنْ يحبْ يفنىْ ولا عايل يمس محبوبته.
إحنه مشينا للحرب ..

- أوه تذكّرتُ .. لقد وعدني بابا أنْ يصحبَني الى زيارةٍ عزيزةٍ، زيارةِ المُتحفِ الوَطنيّ لأبطالِ القادسيّةِ الثانيةِ قال لي .. إنّه سيُريني على شاشةِ البانوراما .. قِصّةَ جَدّي الشهيد (محمد سلمان).

إشترينا زهوراً .. وركِبْنا مركبتَنا المغناطيسيّة، ضغط بابا على أحدِ أزرارِ المركبة .. أنطلقت بنا.

كانتِ المركبةُ تعرفُ طريقَها .. إذْ زوّدَ بابا عقلَها الألكتروني بالمعلوماتِ اللازمةِ، إنطلقتْ بنا بخفّةٍ وهدوءٍ، ورُحتُ أُمتّعُ نظري بمشاهد مدينتي الجميلة، عماراتِها الشاهقة، شوارعِها المعلّقة.

إجتازَتْ بنا المركبةُ نفقاً تحت دجلة، ومِنْ بعيدٍ لاحتْ لنا بِنايةُ المُتحفِ، تلك القبّةُ البيضويّةُ المُعلّقةُ في الفضاءِ، ترجّلْنا مِن العربة، كان علينا أنْ نَقِفَ في صَفٍّ طويلٍ لِنضَعَ الزُّهورَ على النُّصُبِ التذكاريِّ لشهداءِ القادسيةِ، الذي أصبح مُحاطاً بتلالٍ من الورد.

ثُمّ اتّجهْنا بعدَ ذلكَ الى البانوراما .. كان الصّمْتُ يُجلّلُ المكانَ إكراماً لهذهِ المُناسبةِ العظيمة. كانتِ البِنايةُ مِنَ الدّاخل فسيحةً، تمتدُّ على جُدرانِها البيضويّةِ شاشةٌ عريضةٌ .. همَسَ أبي في أذُني -أنظرْ يا رائد،ها هي شاشةُ بانوراما القادسيّةِ الثّانية.

دُهِشتُ أوّلَ الأمرِ .. إذْ لا شيء مرسومٌ على الشّاشة، فأنا رأيتُ بانوراما القادسيّةِ الأولى،وهناكَ كانتِ المعركةُ واضحةً بالصّورةِ والصّوتِ .. قلتُ لأبي:

- وأينَ هي الرُّسوم؟..

أجابَ:- أنتظرْ قليلاً .. وسترى قِصّةَ أستشهادِ جَدّك.

إقتادني أبي من يدي، ثُمّ جَلَسنا خَلفَ مِنضدةٍ صُفّتْ عليها الأزرارُ والشّاشاتُ،ورُحتُ أرقبُ يَدَيْ أبي وهي تتنقلُ بينَ الحروفِ والأرقام ..

م ح م د - س ل م ا ن ١٢/ ٥/ ١٩٨٣

إلتَمَعتِ الشّاشةُ بالضوء ... قال أبي:

- سنعودُ خمسينَ عاماً إلى الوراءِ، إلى زمنِ القادسيّةِ الثّانية .. وسترىْ جدّكَ .. وعلى الشّاشةِ ظهَرَتْ صورةٌ لمقاتِلٍ في الثلاثين من عُمْرِه .. أسمرَ .. ضخْمِ الجُثّةِ .. حادِّ النّظراتِ.قال أبي:- هذا هو جَدّكَ ..

وَشَدَدْتُ أنتباهي الى الشّاشة تماماً .. بينما رُحتُ أقرأُ ما عليها مِنْ سطور:



١٢/ ٥/ ١٩٨٣ .. وفي أثناءِ عَمَليّةِ عَمّار التي نَفّذَتْها قُوّاتُ مغاويرِ المنصورِ آستُشهِدَ النائبُ ضابطُ المِغْوارُ ((محمد سلمان)) في عَمَلٍ بطوليٍّ .. وللأجيالِ نُخلِّدُ قِصّتَه هذه. وأبتدأتِ الحكاية :



خَلفَ ناظورِ المَرْصدِ المموّهِ بالصخورِ والأعشابِ .. يقطُنُ الرائد "مُجبل" آمرُ فوجِ المغاويرِ، يُحيطُ بهِ الملازم "صالح رفيق" والنائب ضابط "محمد سلمان" .. كانتْ عينا الرائدِ تُمشّطان تلاً مُشرِفاً على مواضعِ قُوّةٍ عراقيّةٍ ، وفي أعلى ذلك التّلّ المُسمّى (تلُ الشّهيد) نَصبَ العَدوُّ مدفعيّتَهُ، وراحَ يستخدِمُها في قَصفِ قوّاتنا . ولهذا كلّفتِ القيادةُ (مغاويرَ المنصور) بِعَمَليّةِ آحتلالِ التلّ، وتطهيرِهِ مِنْ قُوّاتِ العدوّ .. العمليةُ ستَتِمُّ قريباً .. والرّائدُ يُصِرُّ على آستطلاعِ التّلّ جيّداً، التفتَ مجبل إلى صالح، وقال :

ـ الآنَ يُمكِنُني أنْ أقولَ : إنّنا جاهزونَ للهجومِ ، وإنجازِ عملية عَمّار ...

رَدّ صالح : وماذا ننتظرُ يا سيّدي ؟

أجابَ الرّائد : "إنّنا بآنتظارِ الأمرِ فقط .. ولا بُدَّ لِباقي القوّاتِ أنْ تُكمِلَ آستحضارَها" أمّا محمد، فقد بَقيَ صامتاً .. كان يَعرفُ مَسالِكَ التّلّ جيداً ، فلقد أتاحتْ له الدّوريّاتُ والكمائنُ أنْ يمشّطهُ مِراراً ، حتى إنّه ليَعرِفُ صُخورَهُ صخرةً صخرة .

وقُبيلَ الغروبِ كان كلُّ شيءٍ جاهزاً ، الخُطّةُ .. العَتادُ .. المؤنُ .. وكانَ الفوجُ مُتجَمّعاً في القاعدةِ الأمينةِ المواجهةِ للتّلّ تماماً .. والكُلُّ يعرفُ أنّ الهجومَ سيكونُ صامِتاً .. لِكيْ تُباغِتَ قِطعاتُنا الزاحِفةُ العَدوَّ، وهو في مواضِعِهِ وتشِلَّ حَرَكتَه تماماً .

وعندَ الشروعِ بالزّحفِ ، قادَ محمد فصيله بحذرٍ وتأنٍّ .. حتى إنّ حِذاءَهُ الثّقيلَ كان يبدو، وكأنّه لا يَمَسُّ الأرضَ لِكيْ لا يُصدِرَ أيَّ صَوتٍ يُثيرُ آنتباهَ العدوّ ، وفي جوانبِ التّلّ الأخرى كانتْ سرايا المغاويرِ تتقدّمُ لتُحيطَ بالتّلّ من جهاتِه بعمليةِ إحاطةٍ بارعة . وقبل أنْ ينتصِفَ اللّيلُ كانتِ القُوّةُ قد وَصَلتْ إلى مشارِفِ مواضعِ العَدوّ ، تبودِلَتِ النّيرانُ بينَ المُقاتلينَ ، لَقدْ نَجحتِ الخُطّةُ



والعدوّ لم يُحسّ بهم ، لم يبقَ غيرُ شارةِ البدءِ بإطلاقِ النّار .. ها هي طلقةُ تنوير يُطلِقُها الرّائد مجبل، فأزّ الرّصاصُ .. واقتحم المغاويرُ مواضعَ العدوّ .. الذين شلّتهم المفاجأةُ .. كانتِ النّارُ تلعلعُ فوقَ التّلّ، وجرى اشتباكٌ سريعٌ وضارٍ بينَ قوّاتِنا، وقوّاتِ العدوّ . ومحمد يتنقّلُ بين جنودِ فصيلِهِ يُوجّهُهُم نحوَ مواضعِ العدوّ .. راحَ العدوُّ يصرخُ، ويستغيثُ . استنجدَ بمدفعيّتِهِ التي راحت تدكُّ التّلّ .. وبينما كان محمد يُهاجِمُ أحدَ المواضعِ سقطتْ قربَهُ قنبلةٌ مُعاديةٌ أصابتْهُ شظاياها في صدرِهِ .. نُقِل محمد بسرعةٍ إلى القاعدةِ الأمينةِ .. وهو يَطلبُ مِنْ رِفاقِهِ أنْ يتركوهُ .. وفي المفرزةِ الطّبّيّةِ ،



ضمّدَ الطّبيبُ جُرحَهُ، وأوصى بنقلِهِ إلى المستشفى . غيرَ أنّ محمداً تحاملَ على نفسِهِ، ووقفَ أمامَ الطّبيبِ، وقالَ بإصرار :

ـ سأعودُ إلى وَحدَتي .. إنّ فصيلي بحاجةٍ إليَّ، ثُمّ إنّني بخير !

إمتثلَ الطّبيبُ لإصرارِ محمدٍ، وسَمحَ له بالعودةِ إلى التّلّ حيثُ كانَ الاشتباكُ مُستمِرّاً .

تسلّمَ محمد رشّاشةً ثانيةً .. وبِضعةَ مخازنِ عتاد .. وراحَ يَصولُ بِكُلِّ قُوّة .. لم يعبأ بجُرحِهِ الذي رَاحَ ينزِفُ بغزارةٍ . وفي حين كانَ يُسدّدُ رشّاشتهُ إلى مجموعةٍ من الأعداءِ الهاربينَ كانتْ قذيفةُ هاونٍ تسقطُ تحتَ رِجلَيْهِ تماماً .. وسقطَ محمدٌ مُضرّجاً بدَمِهِ .. لكنّهُ وهو يَلفِظُ أنفاسَهُ الأخيرةَ . استطاعَ أنْ يسمعَ بوضوحٍ أصواتَ رفاقه :





نجحتْ عمليةُ عمّار .. سَيْطرْنا على تلّةِ الشّهيد .. وفرَّ العدوُّ تاركاً أسلِحتَهُ، وجُثثَ قتلاهُ، وجرحاهُ في أرض المعركة .

عند ذاك أمكنَ لمحمدٍ أنْ يُغمضَ عينيْهِ باسماً مُطمئناً ...

كانتْ آخِرُ صورةٍ لِجدّي تظهرُ على الشّاشة .. عندما تقدّمَ نحوه الملازم صالح، وقبّلهُ، ثمّ رفعَهُ بين يديه ..

قطعَ عليَّ أبي تأمُّلاتي، وقال :

ـ رأيت ؟ .. هذا هو جدُّكَ، ومن حقّكَ أنْ تفخرَ به .

حنيتُ رأسي مُوافقاً ـ نعمْ إنّه جدٌّ شُجاعٌ باسل .

عندما خرَجْنا من القاعةِ كانت بغدادُ تتألّقُ في عَيْنيَّ، وتبدو أكثر جمالاً وتساءلتُ :

ـ أكانَ يُمكنُ لبلادِنا أنْ تكونَ بمِثْلِ هذا الجَمالِ، لو لم يَسْتشهِدْ جَدّي، ورِفاقُه ؟ أكيد أنّها كانتْ ستكونُ مُجردَ خَرائبَ، وأنقاض .

قُلتُ لبابا ، ونحنُ ندخلُ مركبَتنا المغناطيسية :

ـ أريدُ أنْ أكونَ بطلاً مِثْلَ جَدّي .

قال لي ـ طبعاً يُمكنُكَ ذلك ، ولكنْ كيف ؟

قُلتُ ـ سأتطوّعُ مُقاتِلاً في القُوّةِ الفضائيّةِ العراقيّة .



مقاتل برتبة شهيد



(١)

أنا الشَّهيدُ زُهير الياس، جُنديٌّ عِراقيٌّ من تشكيل التسيباني، قبلَ أيّامٍ رحلتُ إلى السّماء، بعد أنْ صَدَرَ أمرُ الوطنِ بترفيعي إلى رتبة شهيد؛ وهي كما تعلمون، أعلى رُتبةٍ يُمكنُ أن يَحصلَ عليها مُقاتلٌ مِثلي.

هناكَ في أعالي السّماءِ، رَحّبُوا بي كثيراً، وسألُوني:

ـ ماذا تُحِبُّ؟ إنّنا على آستعدادٍ لتنفيذِ كُلِّ ما ترغَبُ بهِ!

قُلتُ لهم:

ـ أُريدُ العودةَ إلى وَحْدَتي فأنا لمْ أُنفّذْ واجبي كاملاً.

قالوا: ـ ولكنَّكَ ستعودُ إلينا ثانيةً!

قلت: ـ ليكُنْ، أعرفُ أنّني مهما عِشْتُ، فسأعودُ إليكم شهيداً، ولكنّني أُريدُ أيضاً أنْ أُسمِعَ ٱبنةَ أخي الصّغيرة «نادية» وأصدقاءَها الرائعين قِصَّتي.

وعُدتُ إلى الأرضِ، عُدتُ ثانيةً، أليسَ الشّهداءُ أحياءً؟!



قبلَ أُسبوعٍ فقطْ . كُنتُ أجمعُ حاجياتي الصَّغيرةَ ، وأضعُها في حقيبتي الجِلْديَّةِ،كانتْ ناديةُ تَقِفُ خَلْفِي ، تُراقبني ، حزرْتُ أنّها تُريدُ أنْ تحكيَ شيئاً . ٱلتفَتُّ إليها ، حَمَلْتُها بين ذِراعيَّ ، قبّلْتُها ، ٱحتضَنَتني ناديةُ بقوّةٍ ، قُلتُ لها :

ـ حان وقتُ العَودةِ الى وَحْدتي .. إنتهتْ إجازتي يا نادية . ماذا تَودّينَ أنْ أجلبَ لكِ عِندما أعودُ ؟ أعرفُ أنْ عيدَ ميلادِكِ قريبٌ .

أجابتْ ناديةُ :ـ ولكنَّكَ ستَنْسى مِثلَ كُلِّ مرّةٍ .

قُلتُ :ـ لا لن أنسى هذه المرّةَ .



ردّتْ نادية بسرعة :ـ أريدُكَ أنْ تعودَ حاملاً عَلَمَ العراق يُطرِّزُ صَدْرَكَ . سَمِعتُ صديقتي جُمانة تقولُ : إنّ الأبطالَ يضَعُونَ العَلَمَ على صُدورِهِم ، أبوها فَعَلَ ذلك ، وهي تُفاخِرُ بِهِ . أنا أيضاً أُريدُ أنْ أُغيظَ جمانةَ وأفخَرَ بك .

حاولْتُ أنْ أُفهِمَ ناديةَ . أنّ الامرَ صعبٌ ، وأنّ وحَداتٍ عسكريةً قليلةً تحمِلُ العلَمَ،وأنّ وسامَ العَلَمِ العِراقيِّ لا يُمنَحُ لأشخاصٍ بل لوَحَداتٍ عسكريَّةٍ بكامِلِها . غيرَ أنّ ناديةَ أبَتْ أنْ تفهَمَ ! قبّلتُها ، ودَّعتُها .. ووَعَدتُها بأنْ أنفِّذَ حُلْمَها . وخرجتُ .

(٣)

صباحاً، وطئَتْ قدَمي أرضَ الموضعِ المتقدّمِ لوَحْدتنا. كانَ كلُّ شيءٍ هادئاً، ما عدا بِضْعةَ انفجاراتٍ تترامىٰ في الأُفُقِ البعيدِ. شعرْتُ بإحساسٍ غريبٍ، لم يكُنْ خَوْفاً، فأنا تعوَّدْتُ حياةَ المواضعِ وأصواتَ الانفجارات. أحسستُ بروحي تنقبضُ حين لم أجِدْ صديقي محمد علوان بانتظاري مِثلَ كُلِّ مرّةٍ، كُنت أُريدُ أنْ أفاجِئَهُ برسالةٍ مِن زَوْجتِهِ وبعُلبةٍ مَلأىٰ بالحَلوىٰ. اتّجهتْ بي قدَماي إلى موضعنا المُشتَرك، وهناك وجدْتُ العريفَ صَبّار والوجومُ بادٍ على وَجْهِهِ. قالَ لي صَبّار:

- البقاءُ في حياتِكَ، استُشهِدَ محمدٌ الليلةَ الماضيةَ، وما زالتْ جُثّتُه في أرضِ العدو.

- ماذا؟!

صرخْتُ بينما كانت يداي تمتدانِ إلى جَيْبِ بَدْلتي، ما زالتِ الرِّسالةُ في جيبي، كَلِماتُ زَوْجتِهِ التي لنْ يقرأها محمدٌ أبداً.

(٤)

قبلَ أنْ ينتصِفَ النهارُ، جمَعَنا الملازم صبحي آمرُ الفصيلِ، تأكّدْنا أنّ هناك مُهِمّةً قِتاليةً ستُنفّذُ الليلةَ، لم أشعُرْ بأيّةِ رغبةٍ للخروجِ في أيّةِ مُهمّةٍ اليومَ، كُنتُ تَعِباً، وصورةُ محمدٍ تُلاحِقُني، وكَلِماتُ زَوْجتِهِ ترِنُّ في أُذُني.

- بلِّغْهُ سَلامي، قُلْ لهُ أنْ يكونَ حَذِراً.

أفقْتُ على صوتِ الملازمِ صبحي يَطْرُقُ بابَ أذُني:

- سنُخلي جُثّةَ شهيدنا محمدٍ الليلةَ. المُهِمّةُ دقيقةٌ، وتحتاجُ إلى مُقاتلٍ واحدٍ فقط.
سَبقَتْني كَلِماتي، قُلْتُ بكَلِماتٍ مبحوحة:

- أنا.. أنا يا سيّدي مَنْ يُخلي جُثّةَ الشهيد، ولا أحَدَ غيري لقد ظلّ محمد يُقاسمني الحياةَ، والتّعَبَ، والفَرحَ أياماً طويلةً، ولا بُدّ أنْ أوصِلَ إليهِ كَلِماتِ زَوْجتِهِ الأخيرة.





عندَ الغُروبِ ، أنطلقتُ حاملاً سِلاحي الخفيفَ،وبطّانيةً لحملِ جثّةِ الشهيد . وعَبْرَ طريقٍ سرّيٍ وَعِرٍ لم يكتشِفْهُ العَدوُّ بعد ، رُحْتُ أعدو سريعاً . ها هي الحياةُ تَسري في أوصالي المُتيبِّسةِ . كُلُّ شيءٍ كان يتكسّرُ تحتَ ضَرَباتِ حِذائي الثقيل .. الأشـواكُ ، ونِثارُ الصُّخورِ . لقد خَبَرْتُ الطريقَ جيّداً . فَطالما أستخدمناهُ في الكمائنِ التي كُنّا نُوقِعُ فيها دوريّاتِ العدوّ . والملازم صبحي رَسَمَ لي خارِطةً واضحةً لمكانِ الجثّة . ها هو الشّهيدُ يرقُدُ على بِضعةِ أمتارٍ منّي . انبطحتُ أرضاً،وبدأتُ بالزّحْفِ نحوَ مكانِ الجثّةِ حتى وصلتُها . كان أوّلَ ما طالَعني من محمد وَجْهُهُ الباسم . أقسمُ أنّني لم أرَهُ مرّةً إلاّ وهو مُبتسمٌ . فَرَشْتُ البطانيةَ وهممتُ بنقلِ الشهيدِ ، ومن بَيْنِ الظُّلمةِ دَوّى صوتٌ كريهٌ :

ـ قِفْ .. مكانَكَ .. أيّها العراقيُّ .. إرمِ سِلاحَكَ .. إيّاكَ والحركَة .

تمتمتُ في نفسي :

ـ إنّهُ كمينٌ مُعادٍ .. ولقد وقعْتُ فيه ..

مرَّ صمتٌ ثقيلٌ سرعانَ ما قَطَعَتْهُ ضَرَباتُ خُطىً ثقيلةٍ تقتربُ منّي .. وحِبالٌ تمتدُّ لتُقيّدَ يَديَّ من الخَلْف .. استدرْتُ برأسي قليلاً . أرتطمَ نَظَري بوُجوهِهِم الكالِحة .. بادَرَني أحدُهم قائلاً :

ـ كُنّا نَعرِفُ أنكم ستأتونَ لسحبِ الجثّةِ . يقولون : إنّ العراقيينَ لا يتركُونَ جُثَثَ موتاهم .. لقد وقعْتَ في المِصيدةِ يا ... ما أسمك ؟

حاولْتُ أنْ ألوذَ بالصمتِ . فأنهالتْ عليَّ اللكماتُ والرّكلاتُ من كل جانب مع سيل قذر من الشتائم.كنتُ لا أفهمُ شيئاً من لغتِهم بأستثناءِ أحدِهم . كانَ يتكلّمُ بلغةٍ عربيّةٍ ركيكةٍ.ومعَ هذا كنتُ واثقاً بأنّهم يَشتمُونَني . لم ينفعِ الصّمتُ .

لم يَعُدِ الألمُ مُمكِناً . لقد اشتدَّتْ ضرَباتُهم بعدَ كُلِّ إغماء .. وضعفتُ تحتَ ضَغْطِ عذابٍ رهيب ..

ـ حَسَناً ..

صرخْتُ بهم ، فردَّ آمرُ المجموعةِ المُعادية :

ـ ستتقدَّمنا مُقيَّداً .. وسنحيلُ مَعَكَ الجُثَّة . عندها يظُنُّ زُملاؤكَ أنكَ عُدتَ . الليلُ سيسهِّلُ مُهمتَنا . هيّا تقدَّمْ أمامنا .

تقدمْتُهم ، تيبَّسَ الدمُ في أوصالي .. أحسسْتُ بساقيَّ ثقيلتَيْنِ تباطأتُ في المسيرِ . انغرزَتْ فُوَّهاتُ بنادقِهم في ظهري ، وفي كلِّ مرةٍ كنتُ أحاولُ التثاقُلَ في سيري،كانتْ بنادقُهم تتوزَّعُ في ظهري فأُواصلُ السيرَ . لم يبقَ إلاّ القليلُ،ونَصِل ، وسيُباغتونَ رِفاقي بعمليةٍ غادرةٍ . ولكنْ مَنْ يضمنُ لي أنَّهم سَيُبْقونَ على حياتي ؟! سيقتُلونَ رِفاقي ثُمَّ يغدرونَ بي .

في عتمةِ الليلِ بزَغتْ أمامي هَالةٌ مُتوهِجَةٌ ؛ شُعَاعٌ مَلأَ عيني ، كانت صُورةُ نادية ابنةِ أخي تتلألأُ وَسْطَ الشُّعاع :

ـ أُريدُكَ أنْ تأتيَ بِعَلَمِ العراقِ يُطرِّزُ صدرَكَ يا عَمّي ..

وتسلَّلَتْ إلى أُذُني كَلِماتُ أُمّي :

ـ تعودُ لي سالماً مُعزَّزاً يا زهير ..

أيُّ عِزٍّ يا أُمّي وابنُكِ يُسرِعُ نحوَ الذُّلِ والعارِ ؟ غَابَ الشُّعاعُ عن عيني،وهَرَبتْ كَلِماتُ أُمّي . انغرزَ شيءٌ حادٌّ في ظهري ، كانَ نَصْلَ مديةٍ حادّة ..

ـ أينَ أصبحنا .. ؟ سألني آمرُ المجموعةِ المُعادية .





قالَ المُترجِمُ :

ـ إذا لم تتكلمْ ،فسوفَ نُلحِقُكَ بصديقِكَ هذا ...

ثُمْ أشارَ إلى الجُثَّةِ . صِحْتُ بغضبٍ مكتوم :

ـ ماذا تُريدونَ مِنّي ؟

أجــابَ:ـ عليكَ أنْ تدُلَّنا على الطريقِ الذي جِئتَ مِنهُ ، كنّا نُراقِبُ كُلَّ الطُّرُقِ ، فلمْ نَرَكَ إلاّ وأنتَ هُنا ، مِن أينَ جِئتَ ؟

عادَ الصَّمتُ يرتديني ، بعدَها كان عليَّ أنْ أتلقّى ضَرَباتٍ أشدَّ إيلاماً بأعقابِ البنادقِ،ومُقدّماتِ الأحذيةِ . ثُمَّ غِبتُ عن الوعيِ تماماً .

أجبتُ: ـ استعدّوا .

كانتْ مواضعنا قدْ أصبحتْ بمرمىْ الأسلحةِ الخفيفةِ ، تُرى مَنْ يقومُ الآنَ بمهمةِ الحراسة ؟ عريف صبّار الذي أنقذني مرةً مِن مَوْتٍ أكيد ، وهُناكَ خلفَ الرشّاشةِ الرُّباعيةِ .. لا بدْ أنّه يُوجّدْ ابراهيم الطيّب الذي يُحِبُّ طِفلَيْهِ بشكلٍ لا يُصدّقُ .. محمود ، سلطان ، فوزي .. وبقيةُ جُندِ الفصيلِ الذين مَنحُوني الحُبَّ وشاركتُهم أكثرَ مِن آنتصارٍ ، أتُراني أغيرُ بكم ؟؟ مَعْذِرةً يا أصدقاء ..

ها قد أصبحْنا على مسافةِ مِئةِ مترٍ تقريباً مِن المواضعِ .. استجمعتُ كُلَّ قُوّتي، وركّزْتُها في حنجرتي، وصرّخْتُ بكُلِّ خليّةٍ في جَسَدي :



ـ إخواني .. أبناءَ تشكيلِ الشيباني الشُجعانَ .. تنبهوا .. العدوُ يُهاجِمُكم .. خُذُوا حذرَكُم ، فجأةً توهجَ الوادي ضياءً ، حَمْداً لله .. لقد تنبّهَ الرِفاقُ .. وها هُم يُطلقونَ قذائفَ التّنويرِ، وبينما أنا أتساقطُ، ورَصاصُ العدوِ يتوغّلُ في جَسَدي .. كان رَصاصُ رِفاقي يحصِدُ جُندَ العدوِّ ، وبينما لاذَ البعضُ مِنهم بالفِرارِ .. كُنتُ أتكوّمْ فوقَ جُثّةِ صديقي محمد علوان لأُعانِقَهُ ونَرحَلَ مَعاً إلى السَّماء .



في البيتِ، وأنا في تابوتي ملفوفاً بالعَلَمِ العِراقيِّ ، أردتُ أنْ أتبيّنَ صوتَ نادية مِن بينِ الأصواتِ الكثيرةِ المُتداخِلةِ ، ها هو صَوتُها يأتي إليّ واضحاً بريئاً . لم تكُنْ تبكي ، بل كانتْ تُحاورُ صديقتَها جُمانة ، وتقولُ بفَرحٍ طُفوليّ :

ـ ها هو عَمّي يا جُمانة ، وعَلَمِ العِراقِ يلُفُّ جَسَدهُ ، ألمْ أقُلْ إنْ عمّي لا يقِلُّ شأناً عن أبيكِ ؟ إنّهما بَطَلانِ !

تلاشتِ الأصواتُ مِن حَوْلي ، وعُدْتُ ثانيةً إلى السَّماءِ ، وهُناكَ رَحّبوا بي، وآحتفلوا بمَقْدمي، وسألوني عمّا أريدُ ، لأنْ كُلّ رَغَباتي مُجابَة .

قُلتُ : ـ أريدُ العَوْدةَ إلى وَحْدتي .. فما زلتُ أُحِسُّ بأنّي لم أكملْ واجبي .

قالوا : ولكنّكَ شهيد ، وستعودُ إلينا ثانيةً !

قلت : ليكُنْ - أليسَ الشُهَداءُ أحياء ؟! ..

الناشر : دار ثقافة الاطفال – ص.ب ١٤١٧٦ بغداد
رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
(١٤٧١) لعام ١٩٨٤م

توزيع : الدار الوطنية للتوزيع والاعلان

طبع هذا الكتاب في دار الحرية للطباعة / بغداد

****

اعداد وارشفة : احمد هاشم الزبيدي
٢٠١٦م

